من منشورات
جمعية رابطة العلماء في العراق
المركز العــام
بغـداد

الاسلام دين خالد

للشيخ العلامة
الحاج نجم الدين الواعظ

□●□

٢١٩

١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م

مطبعة سلمان الاعظمي ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أرسل محمداً بالحق بشيراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيرا وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وكانت له نصيراً وظهيرا صلى الله عليه وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وأصحابه الذين غاظ بهم الكفار ودمرهم تدميرا وعلى جميع أتباعه وأمته وسلم تسليماً كثيرا ٠

وبعد ، فقد قال سبحانه وتعالى « وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » ٠

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم : (لن يصلح أمر آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها) ٠

لقد علم كل من سبر تاريخ الأمم على اختلاف الطبقات والشعوب والنزعات لاذعن وأيقن بأن الدين الاسلامي هو الصراط المستقيم

كيف لا وهو بناء عظيم وصرح قويم لا تضعفه مكائد المستعمرين ولا توهنه دسائس المبشرين ولولا متانة هذه القوة والجسامة لأندك عرشه منذ الحروب الصليبية ومنذ هاجم المغول بلاد الاسلام وأعلنوا القتل العام فقالوا لقد انطوى بساط الاسلام فلا تقوم له قائمة بعد اليوم ، ولكن بعد ما مضى برهة من الزمن الا وعاد مجده كما بدا وبعد أن توغل المغول في البلاد الاسلامية وسبروا الدين الاسلامي ومحاسنه تلقته عقولهم بالقبول واعتنقوه وجعلوا دستوره وأحكامه أعظم مقدس لديهم وجاهدوا أعداءه حق جهاده وظهر لديهم بأجلى الأدلة بأن الدين الاسلامي الذي عنوانه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وحليتاه التوحيد والتنزيه بأخص معانيهما هو الدين الحنيف الذي سيئوب اليه المفرطون والمفرّطون جميعاً ولا دين أحرز هذه الصبغة الألهية سوى الاسلام الذي جاء يدعو الناس اليه المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم فمحمد صلى الله عليه وسلم هو البدر المتلئلأ في أفق العالم الانساني السراج المنير المنتخب للسفارة الألهية في تبليغ الاحكام الشرعية لسائر الأمم ولكنه عليه السلام لاقى أهوالا عظاما

وخطوباً جساما من بني قومه وجلدته وكان الجو العـالمي متلبداً بغيوم متكاثفة كان دعاة الشر أكثر من دعاة الخير وكان دينهم وئد البنين والبنات وديدنهم قبح العــادات أدميت لها القلوب وتراخا فيها نظام العالم كان يقتل بعضهم بعضا ويغزو بعضهم بعضا حتى ان الحروب التي كانت قائمة بين الأوس والخزرج دامت مائة وعشرين سنة الى أن ظهر داعي الخلق الى الحق والسالك بالأمم الى طريق الفضـل والفضيلة والمكرمة والشمم ومنقذ الأمم من غياهب الظلم ظهر بواد غير ذي زرع ونشأ بين تلك الرمـال القاحلة والجبال الشاهقة وبين أمة أمية خالية من العلوم والمعارف وأكثرهم من رعاة الابل فنشر بين ظهرانيهم ديناً وشريعة وثقافة وانشأ أمة ودولة وخلافة أرجفت العـالـم بأسره حتى قال هرقل ملك الروم ـ بعد أن قرأ كتاب رسـول الله ـ ان هذا الرجل سيملك موضع قدمي هـذا ولو كنت أعلم اني أخلص اليه لغسلت عن قدميـه ، وأصـبحت جزيرة العرب المستعمرة المستعبدة بين يدي الحبشة تارة وبين الفرس أخرى تنادي بالاستقلال وتصدع بكلمة الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله وليست هذه الاعمال المبتـكرة

الا تأييداً إلاهياً وعناية سماوية وقـدرة ربانيـة ودليـلا واضحاً على صحة نبوته ورسالته لانها مما يعجز عنها نطاق البشر فكانت بعثته ورسالته من أجل نعم الله على خلقـه (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم) أي عربياً من جنس البشر (يتلو عليهم آيـاتـه ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضـلال مبين) وقرأ بعضهم من أنفسهم بفتح الفاء أي أشـرفهم حسباً ونسبا وكذلك الانبياء تبعث من أشراف قومهـا وخيارهـا ·

هذا وان الذي نعتقده وندين الله تعالى به ان الله تعالى اختار محمداً من خيرة الانبياء والرسل واختار له آلاً مـن خيرة الآل وأصحاباً من خيرة الأصحاب وأزواجاً من خـيرة الأزواج وذرية من خيرة الذراري وأمة من خيرة الأمم وهي المعنية بقوله تعالى (كنتم خير أمة أخرجت للناس) وقوله (وكذلك جعلناكم أمة وسطا) أي أخياراً وعدولا لتكونوا شهداء على الناس) والشاهد لا يكون إلا عدلا ·

وأما الاسلام فانه دين عميق وتكوين دقيق وعمـل

متواصل ، قانونه الرحمة ودستوره الشفقة ونظامه الوحدة والاخوة والمحبة وهدفه الطاعة لله ولرسوله وصالح المؤمنين .

وانه دين ودولة وعدل ونظام وحُكم وحِكم وخلق وأخلاق وعزة وجهاد لاعلاء كلمة الله تعالى (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذير وداعياً الى الله باذنه وسراجاً منيرا) فالدين الاسلامي هو دين الله العالمي في أرضه وسمائه ولن يقبل الله للخليقة ديناً سواه (ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) لكن لا يخفى على من نور الله بصره وبصيرته ولم يجعل على بصره غشاوة بان أسباب الضعف الذي انهار به الاسلام في القرون الأخيرة انما هو من كيد أعداء الاسلام الذين كانوا يسعون لانفصام حلقة تلك الرابطة الاسلامية التي وضع أساسها صاحب الشريعة الاسلامية وشيد بنائها خلفاؤه الراشدون ثم لم يزل ذلك البناء العظيم يشاد من جهة وينهار من جهة أخرى حتى تلاعبت به أيدي العابثين من رجال التبشير والطمع ولولا انه صرح مجيد وأساس قوي عميد لتهدمت أركانه وانهارت دعائمه من كل صوب

وجهة والعياذ بالله تعالى فقال سبحانه (يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) وقال (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون) أجل ان هذا العدو الماكر قد مد يده اليمنى للمصافحة باعتبار انه صديق مسالم ولكنه يرخي لك اليد اليسرى للصدمة والطعن في الصميم وطفق ينادي في كل نادي ويسعى هذا الجاحد الملحد بسحره الباطل وكيده المملوء خبثاً وضلالا بين ضعفاء العقيدة والايمان بان الدين الاسلامي مانع من التقدم ومن الرقي والحضارة والمدنية وان التقدم انما هو برفض الأديان السماوية ولكنك ان أمعنت النظر بعين الحقيقة والبصيرة لوجدت هذا القائل لاينفك عن الكنيسة قيد شبر ، واليك حادثة أدورد السادس وانفصاله عن العرش البريطاني ليس الا لمخالفته لحكم الكنيسة .

فأين هذا من ذاك يا ضعفاء العقيدة (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) وقد انكشف لدينا أخيراً بأنهم حين فشلوا في الحروب الصليبية كروا الرجعة على الاسلام

وبث سمومها القاتلة في مدارسنا وكلياتنا وجامعاتنا

بحروب صليبية أخرى وبث الخلاعة والدعارة بالطرق السلمية في بلاد الايمان والتوحيد آملين الوصول الى غايتهم التي يأملونها ولكنهم خابوا وخسروا فان للبيت رباً يحميه ، فان تجرد عن الدين فرقة شاذة رأيت المعتنقين لهذا الدين الملايين من العالم بلا مال ولا تبشير (وان تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) بيد ان هذا العالم مهما تقرب الى الحقيقة وانكشف لديه محاسن هذا الدين القويم تلقته عقولهم بالقبول بلا مشوق ولا مرغب ذلك لانه دين الفطرة دين العقل دين يدعو الناس الى وحدة الاله ودعائمه الصدق والعفاف والأباء والمروءة والانصاف والوفاء بالوعد والعهد والعدل ومحاربة الظلم والغدر والخيانة (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظم لعلكم تذكرون) وحين سمع هذه الآية عثمان بن مظعون رضي الله عنه جاء وأسلم وقال : ينبغي لصاحب هذا الكلام أن يكون إلهاً ، واليك ما قاله الفيلسوف الانكليزي المدعو بورنارد شو : ان دين الاسلام بعد دراسته سيصبح ديناً عالمياً لجميع كرة الأرض ،

وما كتبه الفيلسوف (كارليل) صاحب كتاب الابطال من التحليل الدقيق والبحث النفيس عن عبقرية محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك صاحب كتاب الاعتذار عن دين محمد والقرآن المدعو (جيان دبون بورت) ومؤلف كتاب (الرسول) المدعو (بودلي) وهو عين ما قاله الفيلسوف الروسي الاصل المدعو تولستوي ، ومع تحمله لهذه الصفات السامية فانه يدعو الناس الى تصديق الانبياء والرسل والايمان بقداسة الكتب السماوية المنزلة (لا نفرق بين أحد من رسله) ، (وتؤمنون بالكتاب كله) فقد مد الاسلام يد المصافحة والسلم مع كافة الأمم على اختلاف طبقاتها ومذاهبها وصدق رسالة أنبيائهم واذعن لاحكام كتبهم وان شرائع من قبلنا شرع لنا اذا قصها الله علينا بلا نكير وان الفرقان العظيم جاء مصدقاً لما ادعته الأنبياء والرسل ، فقال سبحانه (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وانزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) واما النسخ لبعض الاحكام الفرعية فليس الا عدلا من الله تعالى وحكمة

ولا يلزم منه البداء على الله تعالى ولـكن الاحـكام تختلف باختلاف الازمان فان البعض منها ان أمكن تطبيقها في زمن لا يمكن تطبيقها في زمن آخر حسب ما تقتضـيه الحكمة الالهية قال تعالى (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع أهوائهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منـكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحـدة ولـكن ليبلوكم فيما أتـاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعـكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) ان الدين الذي جاءنا به محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم من عند ربه دين لا يسوغ للعالم أجمع ان يتعبد بدين سواه اذ هو الذي ارتضاه الله تعالى لأهل الايمان ديناً واكمل به نعمته عـلى خلقه ذلك الدين الذي ظهرت أشعة نوره على الخافقين من مشكاة غار حراء فتعطر الكون من شـذا طيب ذلـك الناموس الالهي الذي نقله الينا نسـيم الأثير من أرض طيبة ووادي العقيق فعم طيبه وعبق ريحه وانتشر شذاه حتى عم الخافقين وطفق ينادي ويدعو الناس الى توحيـد الكلمة والى عبادة إله واحد فرد صمد ليس له نظـير ولا

شبيه ولا معين في عالم الموجودات منزه عن سمات النقص والعجز (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون) هذا ولعمر الحق هو جزء من ألف جزء من محاسن الدين القويم وانك بعد ان امعنت النظر فيه رأيت العدل والانصاف والاباء والمرونة تلوح على جبينه لا يقول الا عدلا ولا يحكم الا فصلا ٠

جاء الاسلام بقداسة الأنبياء والرسل ونزاهتهم وعصمتهم قبل النبوة وبعدها وهو الذي برأ ساحة مريم وقدس رسالة عيسى عليهما السلام وانه رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وأمر أمته بتصديق رسالة عيسى وقداسة الانجيل ولو أنصفوا لكانوا أول أمة صافحت يد محمد (ص) ومن لم يؤمن بذلك فليس من الأمة الاسلامية في شيء ان حال المسلمين ليؤسفني ويؤسف كل منصف وقد سيطر على عقول ناشئتهم التي تباعدت عن تعاليم الدين الاسلامي

وطفقت توجه سهامها على أسسه وأحكامه وتعاليمه القويمة بلا اطلاع ولا روية ذلك لان المرء عدو لما جهل ..

يقولون في الاســـلام ظلماً بأنه
يصـد ذويـه عن طريق التقدم

فان كان ذا حقـاً فكيف تقـدمت
أوائله في عهدهـــا المتقـدم

وان كان ذنب المسلم اليوم جهله
فماذا على الاسلام من جهل مسلم

هل العلم في الاسلام الا فريضة
وهل أمـة سادت بغير التعلم

ويا للأسف لقد أضعنا أحكامه وحكمته وفلســفته التشريعية المستنبطة من الأدلة القطعية التي ليســت هي الا كالدواء الشافي للمريض المزمن أو كالماء الزلال للظمآن الآيس فأين أنت أيها المخدوع الجاحد المتبـاعد عن ادراك محاسن أحكامـه وتعاليمه ولـو حاولت الأمم الاوربية في جميع قوانينها وأنظمتها على أن تدرك محـاسـن القـرآن

العظيم من الحكم والاحكام والعبر والمواعظ والسير واخبار الأولين لعجزت وأيقنت ان هـذا الدستور الذي نزل به الروح الأمين على نبيه المأمون وجعله دستوراً كاملا خالداً متيناً غير ذى عوج ظمن لنا عز الدنيا ومثوبة الآخرة فخاطب النفس والضمير الانساني ليفرق بين الحق والباطل والنور والظلمات ولا يقنت ان هذا الفرقان لا يصدر عن بشر ولو اجتمع عليه أهل السماوات والارض (قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) ومهما يكن من أمر فان اعادة مجد الأمة واصلاح أمرها وبلوغ آمالها السالفة والتالدة لايتم الا بما صلح به أولها أعني التمسك بكتاب الله عز وجل والاعتصام بأحكامه القوية القويمة والعض عليها بالنواجذ والتمسك باذيال الشريعة المحمدية الغراء ومحاربة البدع والأهواء وقد حذرنا الشارع الاكرم صلى الله عليه وسلم بقوله (إياكم ومحدثات الأمور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) وقال (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) فالواجب على العلماء أن يشمروا عن

ساعد الجد للقيام بنشر الشـريعة المطهـرة بين ظهراني الأمة والمحافظة على ثقافـة الناشـئة تلك الثقـافـة التي تحمل الطالب ايماناً ثاقباً خالصاً من الاوهام والشكوك لا كما عليه ثقافة المستعمرين الذين دسوا لنـا السـم في العسل ٠

فاذا تم هذا عاد مجد الاسلام الغابر وانتفـع بهديـه
البادي والحاضر والله يتولى أمر المصلحين ويمحق
دابر الكافرين انه القوي المعين
والحمـــد لله رب
العـالمين

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد
١٢ لسنة ١٩٧٥